المصدر: اكتوبر
التاريخ : ١٩٩٥/٨/٢٧

السادات بين وثائق الحرية .. وزوابع « خريف الغضب » !

حلمى سلام .. وثوار يوليو

نحن الان على رصيف المحطة الرابعة من رحلة القطار على شريط ذكريات حلمى سلام مع ثوار يوليو ..

بطل المحطة رجل يتوقف أمامه صاحب الذكريات ليؤكد أهمية الوثائق قبل ضباب الاشاعات .. وأن الوقائع كما يراها العقل أهم من الكلمات التى تلونها العواطف .. وأن اشتعال الغضب حريقا .. أو حتى فى عز القيظ يجب ألا يلسع الحقائق المؤكدة ..

فعلى الرغم من تجاهل بطل المحطة .. أنور السادات لدور حلمى سلام فى حياته وبداياته .. فإن ذلك لم يقصف أو يكسر قلم حلمى للدفاع عنه عندما حاول البعض لى عنق الحقائق وتغيير اسمه من السادات .. إلى « الساداتى » لأسباب سوف نعرفها ..

وعلى الرغم من الروايات المتناقضة التى ذكرها السادات عن واقعة عمله الصحفى فى البدايات .. فإن ذلك لم يوقف حلمى مقصوف القلم ليتصدى لما قيل عن ، وحول خبرة السادات وحنكته .

وعلى الرغم من رفض السادات لطلب كان قد رغبه حلمى أثناء وجوده فى مجلة « التحرير » .. ، وأشّر ، عليه بكلمة واحدة هى « لأ » مع الضغط بالقلم على الهمزة فوق الألف .. فإن ذلك لم يثن حلمى عن الدفاع عن السادات واقرار رغبة أعضاء مجلس قيادة الثورة وترحيبهم بالسادات .. ردا على اشاعة مفادها أن عبد الناصر قد استخدم دكتاتوريته لفرض السادات على المجلس ..

هذه وغيرها نماذج تؤكد على علوّ نبرة الحق والحيدة فى شهادة حلمى سلام .. وبعده عن الانحياز ضد أو مع أحد أو شىء سوى الحق .

بداية علاقة

وقد بدأت علاقةُ حلمى سلام بأنور السادات عبر قضبان قفص الاتهام فى محكمة الجنايات .. حلمى على مقاعد الصحفيين .. وأنور وسط الشبان المتهمين بالاتفاق على قتل الوزير السابق ، رجل الإنجليز رقم واحد : أمين عثمان . وللحقيقة والتاريخ لم يكن السادات هو المتهم رقم واحد ، وإنما كان المتهم السابع ، فى قائمة المتهمين . وكان أنور فى هذه القضية ، أكبر المتهمين سنا – ٢٧ سنة – والوحيد الذى أتم تعليمه بينهم . فتخرج فى الكلية الحربية ١٩٣٨ . واستمر فى صفوف الجيش حتى بلغ فى سنة ١٩٤٢ ، رتبة اليوزباشى (النقيب الآن) .

واكتشف الإنجليز أمره . واستبعدوه من صفوف الجيش . وطاردوه . وظل يتراوح بين اعتقال .. وحرية ، حتى ظهر بوصفه المتهم رقم ٧ فى قضية أمين عثمان .

ولهذه الميزة – الخلفية السياسية المميزة – فكر حلمى سلام فى الانفراد بضربة صحفية مع السادات .

استطاع اقناع أصحاب (المصور) بمذكرات السادات الخاصة عن الشهور الثلاثين التى قضاها بين جدران السجن ، مقابل عشرة جنيهات عن كل حلقة . فى جلسة المحكمة الثانية : عرف السادات بنفسه . وعرض الفكرة وقيمة الأجر . وتهلل السادات فرحا . وقال : سوف أبدأ فورا . ثم سأل عن كيفية وصول المذكرات ؟ فقال حلمى سآخذ حلقة فى كل جلسة . وإذا حكم بالبراءة ، نبدأ النشر . وإذا جاء الحكم بالادانة ، فلن ننشر بغض النظر عن التقاضى للأجر مقدما ! وتم الحكم بالبراءة . وبدأ النشر فى ١٩٤٨/٧/٣١ ..

وقدم حلمى للمذكرات فى الحلقة الأولى .

ووقتها تحدث السادات عن أمله فى ايجاد فرصة عمل فى دار الهلال ووعده حلمى سلام بأن يحاول . وبالفعل استطاع حلمى أن يقنع أصحاب المصور بأن يعمل السادات معيدا للصياغة "Rewriter" بمبلغ استكثره عليه أصحاب المصور .. وسهل أمر اعتماده حلمى سلام وهو خمسون جنيها .

وانضم السادات إلى أسرة المصور ، وجلس مع حلمى سلام – سكرتير التحرير وقتها – فى غرفة واحدة ، لعدة شهور ، توجه بعدها

عائدًا إلى (طريق المقاولات) مع صديقه ورفيق عمره .. قائد الاسراب حسن عزت ، الذى استبعد من سلاح الطيران .. لنفس أسباب استبعاد السادات .

وعلى الرغم من بساطة قصة التحاق السادات بالعمل فى دار الهلال .. وربما تفاهتها .. فإن السادات رواها ثلاث مرات ، بثلاثة أشكال مختلفة .. وكان حريصًا فى كل من هذه المرات الثلاث على اسقاط أى دور لحلمى سلام فيها ..

الغريب أن حلمى سلام .. لم يفهم السبب وقتها .. وظل حتى الآن غير فاهم !

خلال ثلاث سنوات سابقة على الثورة عاد أنور السادات إلى الجيش . أخذ مكانه بين الضباط الأحرار . ولما قامت الثورة استمر لقاء حلمى به شبه يومى ، إما فى مقر مجلس قيادة الثورة بكوبرى القبة ، وإما فى بيت حلمى بمنشية البكرى ، حيث يتناول الغداء ، ويأخذ حصته من نوم القيلولة ، التى كان شديد الحرص عليها .

تحولات ولا مبالاة

ظل كذلك إلى أن عيَّنه عبد الناصر مديرا عامًا لدار التحرير ، التى أوكل إليها إصدار جريدة الجمهورية .. فى نفس الوقت الذى تطورت فيه الظروف لأن يستقر رأى حلمى سلام على ترك المصور . وذهب إلى عبد الناصر ليخبره بذلك ، الذى لم يجد لحظتها تركه للمصور لأنه لا يعلم هوية من سوف يتولى إدارة التحرير فيه بعد ترك حلمى . ولما استقر الرأى على الترك ، قال

ناصر لحلمى : روح للسادات أخبره بما تم الاتفاق عليه لكى ، تبسك ، مجلة التحرير وعد إلى لتعرفى بما تم .. وعندما واجهت السادات بما تم كانت صدمتى قاسية .. الكلام لحلمى .. حيث قال السادات :

- بس انت مرتبك كبير . ودا حايعمل لى متاعب فى الدار !

وكان حلمى يتقاضى وقتها ١٧٥ جنيها . وعندما عاد حلمى لعبد الناصر مُخبرًا إياه بما قاله السادات قال جمال معلقا :

- ، هو ماله ومال مرتبك . هو حايدفع لك حاجة من جيبه ، .

أما ما لاح على وجه عبد الناصر من علامات الاستياء ، فكان مؤشرا بأنه سوف لا يتركها تمر دون وقفة مع السادات . وصدق احساس حلمى حيث تغيرت معاملة السادات له متحولة فى فتور ولامبالاة . ظهر ذلك جليا عندما طلب حلمى تخصيص سيارة بسائقها لاستخدامها فى المهام الصحفية بالمجلة ، فإذا بالسادات يكتب على الطلب وبخطه المميز .. كلمة واحدة فقط .. هى : (لأ) ! وكان فى إمكانه أن يكتب أية تأشيرة تبرر الرفض .. لكنه قصد تلك الكلمة الواحدة .. التى لم ينس أن يضع ، الهمزة ، على الحرف الأخير منها !

وبلغ عدم اكتراث السادات بالمجلة حدا كبيرا لدرجة عدم قراءته للمقال الافتتاحى الذى كان حلمى يكتبه باسم السادات كل أسبوع .. وكلما سأله حلمى عن رأيه فيما كتبه باسمه أجابة إجابة واحدة لا تتغير : لم أقرأ !

فيقول حلمى :

- إن ما أكتبه يحمل اسمك . ومن حقى

أن أكون مطمئنا إلى أننى أحسن التعبير عنك .
فيقول السادات :
أنا متأكد من ذلك ..

الإجازة .. والتبليغ

وعندما تقرر أن يأخذ حلمى سلام إجازة مفتوحة عقب وبسبب الأزمة العاصفة التى شنها صلاح سالم . وطُلب من السادات أن يبلغ حلمى ذلك بنفسه ، وأن يشرح له ملابسات القرار حتى يخفف من وقعه على نفس حلمى ، لم يقم السادات بذلك كما طلب منه عبد الناصر ، وإنما كلف سكرتيره الخاص اليوزباشى حسن نايل بالتبليغ . وأراد حلمى التعرف على أسباب القرار . ووقتها كان عبد الناصر غارقا فى ردود فعل صفقة الأسلحة التشيكية . فالتقى حلمى بعبد الحكيم عامر الذى اندهش وسأل حلمى : هو أنور ماقلش لك الأسباب ؟ فقال حلمى : أصل موش أنور هو اللى بلغنى .. قال عبد الحكيم : امال مين اللى بلغك ؟ .

- حسن نايل .

● بتقول مين

- « كرّر » : حسن نايل !

وأثناء الحوار .. إذا بالباب الفاصل بين غرفة عامر وغرفة مدير مكتبه شمس بدران ، يُفتح ، ويدخل منه أنور السادات .. قائلا : صباح الخير .. رد حلمى سلام التحية .. ولم يردها عبد الحكيم .. وقبل أن يجلس السادات قال له عبد الحكيم : مين يأنور اللى بلغ حلمى بقرار الإجازة ؟ فقال السادات : الحقيقة يا حكيم

أنا كنت مشغول ، وخشيت أنه يروح مكتبه يلاقى سامى داود قاعد عليه تبقى مش ظريفة ،

فكلفت حسن نايل يتصل به ويقول له ..

وفوجى حلمى سلام بعبد الحكيم يصرخ فى السادات قائلاً :

- هو دا اللى احنا اتفقنا عليه فى المجلس ؟ أنت فاكر أن احنا بنلاقى الناس فى الشارع !

وكانت هذه المواجهة بين عامر والسادات هى القشة التى قصمت ظهر العلاقات بين حلمى والسادات . علاقة بدأت ساخنة متوهجة عام ١٩٤٧ . وانتهت باردة كلوح الثلج عام ١٩٥٤ .

ويسجل حلمى سلام أنه على الرغم من أن السادات كان يعيد ويزيد بمناسبة وبغير مناسبة الحديث عن « الحب » ، فإن ذلك كان شيئًا مختلفا عن الحقيقة التى تصرخ : إنه حين كان يكره شخصا ما ، فإنه كان يكرهه بعنف ، وبمرارة . حدث ذلك مع اللواء أحمد فؤاد صادق ، الذى دخلت كراهيته قلب السادات . ولم تخرج !

ومثلما كان السادات يتحدث كثيرا عن الحب . كان يتحدث عن « الوفاء » ، والأمر هنا - كذلك - لا يتجاوز طرف اللسان . فعقب

وفاة عبد الناصر تم اطلاق اسمه على قاعة اجتماعات جامعة القاهرة ، واستاد القاهرة الرياضى ، مثلما كان اسم بحيرة ناصر .. بعد بحيرة السد .. وبعد فترة وجيزة محى اسم ناصر تمامًا .. وعلى يد السادات الذى أطلق على ناصر لقب : القائد .. المعلم .. الزعيم !

وعلى الجانب الآخر مضى السادات يخلد نفسه بنفسه فى حياته : معاش السادات .. مدينة السادات .. بالإضافة إلى الأيام والأشهر المرتبطة به .. (مدينة ٦ أكتوبر) .. (العاشر

من رمضان) (كوبرى أكتوبر) (جريدة مايو) ..

السادات .. والساداتى

غير أن مواقف السادات الغريبة مع حلمى سلام لم تصد الأخير عن قول كلمة حق رآها حتمية فى مواجهة بعض الباطل الذى نسبه محمد حسنين هيكل إلى السادات فى كتابه (خريف الغضب) .. فوجدنا الحق عند حلمى أقوى من الغضب عند هيكل الذى كان يلهث نبشًا وراء السادات لإثبات شىء واحد هو أن السادات كان سليل أسرة أصلها من العبيد !

وحيث اعتمد هيكل على بركان غضبه ، استند حلمى سلام على الوثائق .. حيث جاء « خريف الغضب » نتيجة إيداع لهيكل فى السجن على غير توقع ، بعد انتزاع من فوق قمة الأهرام وأيضًا على غير تخيل أو تصور ، مما جعل هيكل ينقب فى جذور السادات عن نقاط ضعف يستطيع أن يخضعها لقدراته ككاتب .. حيث توقف عند (جد) الرجل وأوضح أنه كان عبدا زنجيا اعتقه سيده ! ثم توقف مرة ثانية عند أمه وقال إنها ورثت عن ابيها كل تقاطيعه الزنجية التى أورثتها بدورها لابنها أنور ، الذى أصابته هذه التقاطيع بتعقيدات غاصت ، إلى بعيد فى أعماقه !

ولا يحسب حلمى سلام أن أحدا قبل هيكل قد ذهب إلى أن قسمات وجه الإنسان .. مليحة كانت هذه القسمات أم قبيحة .. يمكن أن تتحكم فى سلوكيات صاحبها

وتوجهاته .. فنابليون مثلا ذهبى الشعر انثوى القسمات .. لكنه غليظ القلب دموى النزعة .. والمهاتما غاندى لا يدخل فى عداد القسمات المليحة وكان رقيق القلب إنسانى التوجهات .

إذن فليس كما قال هيكل إن ملامح ام السادات واسمها : ست البرين ابنة رجل اسمه ، خير الله ، قد أثرت فى سلوكيات السادات فيما بعد ..

والوثائق التى قدمها حلمى قد دحضت أقاويل هيكل التى تشير إلى أن أبى أنور اسمه محمد ، الساداتى ، وليس محمد السادات .. حيث شرح هيكل الفرق بين الساداتى والسادات بقوله : تقال السادات للسادة .. وهم الأشراف أو من مشايخ الطرق الصوفية .. أما الساداتى ، فكان تابعا للسادات ..

ويقدم حلمى ملف الكلية الحربية وصور التقارير السرية بالقوات المسلحة وإقرار

السادات بخط يده قبل الثورة يحرر فيه رغبته في دخول امتحان القبول بكلية أركان الحرب .. وكلها باسم السادات .. وبالتالى فليس - كما قال هيكل - إن السادات غير اسم من الساداتى إلى السادات !

وحلمى بما قال وكتب لم يهدف إلى الانضمام إلى كوكبة المهاجمين لهيكل .. ولا لكى ينحاز إلى أولئك المدافعين عن السادات ..

فحلمى يقول إنه يعلم أن السادات كان يحمل له من الكراهية ما كان كفيلا بأن يرد حلمى عن كتابة حرف واحد من هذا الذى كتبه لو أن صوتا فى أعماقه كان مستعدا لأنه يخفت أو تخرس .

المهم أولاً وأخيرا أن يقوى المرء على نفسه فيقول كلمة حق لوجه الحق وحده .. بدل أن يكون شيطانا أخرس .. وهذا ما رفضه حلمى سلام ..

محمد سعد العوضى

السادات بين حلمى سلام ونجيب .. بداية علاقة متوهجة انتهت كلوح الثلج !